المقال التمهيدي

مقدّمة

إنّ هذه المقدّمة للقوانين(19) ، لم تكتب مع كتابة القوانين للمرّة الأولى سنة 1802، ولكنّها قد ألحقت بها مؤخرًا، وهي تتصدر الطبعة الأولى للأنظمة والقوانين العامّة لرهبانيّة بنات القديس فنسان دي بول الّتي صدرت سنة 1807.

هذا المقال، الّذي يريد أن يعبّر عن هدف الجمعيّة وروحها، وأن يَحُضَّ في الوقت نفسه، الأخوات على التقيّد بقوانين الجمعيّة وممارستها، هل كتبته فعلاً، القدّيسة جان أنتيد بنفسها؟ يمكن الشك بصحة ذلك، عندما نقرأ الجمل الإنشائيّة الجميلة، الّتي يصعب بالفعل على القدّيسة جان أنتيد، تلك القروية الفقيرة في سانسيه، أن تكتب مثلها. فبعض الإستشهادات المأخوذة من كتاب سفر الأمثال، أو من أقوال القديس يوحنا فم الذهب وبعض الجمل المستعارة من مراجع أخرى، لا بدّ لها من أن تثير فينا الدهشة، إذا كانت من قلمها. وهل يجب علينا، أن نفكّر، بأنّ هذا المقال، الّذي غالبًا ما اعتبره المطران تروشّو، "تحفة أدبيّة، ذا نكهة شخصيّة"، ليس من عمل أمّنا القدّيسة؟

إنّه، وهذا أقل ما يمكن القول فيه، يحمل اسم القدّيسة جان–أنتيد، كما يستدل إلى ذلك، من الإشارة إلى إقامتها عند بنات المحبّة، وما نعرفه عنها وعن طباعها وشخصيتها، لا يسمح لنا بالإعتقاد، بأنّ

القدّيسة جان-أنتيد، ترضى بأن توقّع على مقال، لا يتجاوب مع أفكارها.

فيمكننا إذًا، القبول، بأنّ المقال التمهيدي، يعبّر جيدًا، عن نوايا المؤسّسة، ولكن بأسلوب إنشائي، يختلف عن الأسلوب الّذي كان بوسعها أن تستعمله هي بنفسها، وهذا أمر له أهميته، فالكاتب يمكن أن يكون، الشخص نفسه، الّذي ساعد الأمّ توريه في كتابة القانون، أي الأب فيسجان.

هناك موضوعان رئيسان، جرى التّركيز عليهما في هذا المقال. وهذان الموضوعان ستتحدّث عنهما لاحقًا، القدّيسة المؤسّسة في التعاميم الّتي سترسلها إلى أخواتها في الجمعيّة:

- ضرورة التجرّد المطلق والتخلّي عن كلّ شيء، حتّى عن الذّات.

- وأهمية الأمانة للقوانين، حتّى تؤمّن ديمومة وحياة وتطوّر الجمعيّة. فاللّهجة في هذا المقال التمهيدي، هي خُلقيّة أكثر ممّا هي عقائديّة والتقشّف يتغلّب على التصوّف.

وإنّنا نبحث عبثًا، في هذا الخطاب عن عقيدة محورها المسيح كما هي مميّزة عند القديس فنسان دي بول، الّذي كان يحضّ بناته دومًا على "خدمة المسيح في شخص الفقراء". بينما المقال التمهيدي، يتكلّم عن خدمة الفقراء، كأنّها واجب "تلزمنا به قوانيننا المقدّسة".

ورغم هذه المفارقة في الرؤية(20) ، (حيث تظهر بصمات ذاك العصر) نجد في هذا المقال انطلاقة روحيّة، وحرارة قلبيّة، ومن الأمر المؤكّد، أنّ القديس فنسان دي بول ما كان إلاّ ليحبّذها. فالمقاطع الّتي تتحدّث عن التجرّد، وعن التّواضع والثّقة، وقد كتبت بأسلوب إنشائي ملفت. من خلال هذه التعابير، التي هي أقوى من أسلوبها، لأنّها مأخوذة عن غيرها، تستمر جان-انتيد بدعوة بناتها، في الوقت الحاضر، كما في الماضي، إلى الأمانة في التّضحية بذاتهنّ وإلى التفاني. إنّها مبادئ قاسية، ولكنّها تتماشى تمامًا مع روح الإنجيل.

أهداف الجمعيّة

أن نضيف إلى التقيّد السليم بوصايا الله ووصايا الكنيسة، التمرّس الأمين في المشورات الإنجيليّة ومؤاساة الفقراء في حاجاتهم الروحيّة والزمنيّة: أخواتي العزيزات، هذا هو الهدف الّذي سعينا إليه من تأسيس رهبانيّتنا.

ضرورة القوانين والأنظمة

لا يمكن لأية مؤسسة أن تعمّر طويلاً، أو أن تصل إلى هدفها، إذا لم تكن مبنيّة على قواعد متينة من القوانين الّتي تنظّمها، وإذا لم تهتدِ بأنظمة حكيمة قادرة أن توجهها دومًا نحو أهدافها. هذا هو الإعتبار الّذي دفع بنا، منذ سنوات عديدة، إلى صياغة القوانين والأنظمة، التي واظبتنّ بنجاح جيّد على ممارستها إلى الآن.

إن ما نعطيكنّ إياه هنا، كي تَرجعن إليه كلّما دعت الحاجة، ويكون دومًا تحت نظركنّ، يُقدِّم لكنّ ما تجدر معرفته، لمساعدتكنّ على القيام بأمانة، بالواجبات الخاصّة بحالتنا.

لم نغفل في هذا العمل عن ذكر أي شيء تبيّن لنا أنّه ضروري، لتثبيت العلاقات التي يجب أن تكون بينكنّ جميعًا، كونكنّ أعضاء عائلة أو جماعة واحدة؛ ليقود سلوككنّ بحكمة في مهماتكنّ الخاصة؛ وليحدّد علاقاتكنّ مع النّاس خارج مؤسساتكنّ وخاصّة مع الفقراء الّذين يجب أن يستثيروا دومًا عنايتنا الحنونة؛ ويُرتب تمامًا بيوتنا من الداخل بشكل يظهر أن كلّ شيء فيها، يدعونا ويقودنا إلى الكمال الرهباني، الّذي يجب أن نتوق إليه دون انقطاع؛ وأخيرًا ليقيم بيننا تنسيقًا وتناغمًا، يمكّناننا، بفضل نعمته الإلهية، من تحقيق نجاح وتوسيع واستمرارية رهبانيتنا، لمجده تعالى وخلاص النّفوس.

مصدر القوانين

أخواتي الحبيبات، عليكنّ أن تحترمن هذه القوانين والأنظمة، الّتي لم نستقها من مُلكنا الشخصي: يا للأسف! ماذا كان بوسعنا أن نجد في ذاتنا، لعمل من هذا النوع، غير العجز والجهالة المذلين؟ فنحن جَنينا الجزء الأعظم من هذه القوانين(21) ، من الممارسة الحيّة الّتي شاهدناها عند "بنات المحبّة"، حيث أقمنا زمنًا طويلاً؛ وهذه الممارسات كما نظنّ، كان قد وضعها، في أكثرها، القديس منصور دي بول: من أجل ذلك، قد تنظرنَ بحقٍ إلى خادم الله الكبير هذا؛ كمؤسّس وشفيع خاص وأبٍ لكنَّ.

سلطة القوانين

نقدّم لكنّ هذه الأنظمة وهذه القوانين، مصحوبة بموافقة سلطة روحيّة محترمة، موافقة رئيس أساقفة بزنسون رئيسنا العام. وفي كل الأحوال عند دخولكنّ في الجماعة، ألم يكن من المفترض بكنّ قبول هذه القوانين والخضوع لها بروح رهبانية؟

الثمار المرتجاة – والّتي قد حصلت من الأمانة لهذه القوانين

لنا ملء الثّقة، بأنّه إذا التزمنا بتطبيق هذه القوانين والأنظمة بدقّة، لن يتوقّف الله، عن سكب فيض بركاته الوفيرة على رهبانتنا، بشكل عام وعلى كلّ واحدة منّا بشكل خاص وسيبقى عمل الخير محافظًا على استمراريته. ستفوح من داخل بيوتنا إلى الخارج رائحة زكية، رائحة القداسة الّتي سوف تبني قريبنا؛ والفقراء، هؤلاء الأعضاء الأعزاء في المسيح المتألّم سيجدون نجدة وتعزية في كلّ مآسيهم الروحيّة والزمنيّة؛ وأبناء هذا العالم، الّذين سيروننا عن قرب، أولئك الّذين لا يعرفون الفضيلة، سيدركون بأنّها ليست وهمًا وأنّه يجب العيش تحت شرائعها؛ سوف نمتلك هذا السلام المدهش، الّذي يحقّق سعادة الإنسان على الأرض، هذا السلام اللّذيذ الّذي تتوق إليه بشوق جميع القلوب، والّذي ستذهب جهودنا عبثًا إذا بحثنا عنه خارج التقيّد الأمين بموجباته؛ وأخيرًا أنّنا سوف نتقدّس نحن، عندما نعمل على إسعاد الغير لا سيّما خلاص الفقراء.

نقول هذا لمجده تعالى، ولننعش فيكنّ، أكثر فأكثر، حرصكنّ الشديد على التطبيق الخلاصيّ لقوانيننا المقدّسة: وإنّ لنا تعزية أن نرى، أنّه لم تصلنا حتّى الآن، من مختلف الأماكن المتواجدات فيها، إلاّ شهادات مُسرّة ومرضية، تثبّت لنا، أنّ الخير الّذي وُجدنا من أجله يُتمم، وأنّ الأشخاص الذين يحبّون الدين، يَهتدون به.

أخواتي العزيزات، هل يمكن أن تعود هذه النجاحات الجيدة الّتي

أظهرتنّها حتى اليوم، إلاّ لأمانتكنّ الثّابتة لقوانيننا، وللبركة الخاصّة الّتي تجود بها السّماء لهذه الأمانة التقيّة؟ وهل هناك حافز آخر يلزمكنّ بالاستمرار حتّى بشكل أفضل؟

التّقيّد بالأنظمة يتطلّب تضحيات مُكلفة

يجدر بنا (22) أن نعترف على الأقل بدون أن نتجاهل، منعًا لأيّة مفاجأة أو قنوط، بأنّ أنظمتنا وإن كانت لا تفرض علينا تقشفات جسديّة، أو أعمالاً تكفيريّة صارمة، كتلك الّتي يفرضها العديد من المؤسسات النسكيّة، فإنّها تُلزمنا بواجبات مكلفة لطبيعتنا: المهام التي تخصنا بها هي مضنية والفضائل التي تأمرنا بها تتطلب جهودًا جبّارة.

1- فضائل صعبة

أ- التخلّي المطلق

وفقًا لهذه القوانين، مع أنّنا نعيش وسط هذا العالم، الّذي يجب أن يكون مرسحًا لأعمالنا، يتحتّم علينا أن نتركه ونترك أغلى ما عندنا فيه، من أقارب وأصدقاء ومعارف. يجب أن نتخلّى عن راحتنا ورفاهية الحياة وحبّ الجاه والملذات وتقدير النّاس لنا وبنوع خاص عمّا نملك من ثروات، بحيث لا يعود بوسعنا أن نستخدمها ونتصرّف بها بدون استئذان.

وإضافة إلى ذلك، وهذا أمر له صعوبته الخاصّة، يجب التخلّي عن أنفسنا، عن أنوارنا الشخصيّة، عن ميولنا الخاصة وعن حريّتنا: بطريقة، ننظر بها إلى أنفسنا، بأنّنا ليس فقط لم نعد نملك شيئًا، بل كأنّنا نحن لم نبق لأنفسنا.

تبرير هذا التخلّي

كم هي مكلفة هذه التضحية المزدوجة! ولكن بالوقت نفسه

كم هو عظيم! وكم هو مُرْضٍ في عيني الإيمان! وكم هي ثمينة الحسنات الّتي تنزل على من يلتزم بها طوعًا وحبًّا بيسوع المسيح! فالمكافأة الثّمينة على هذه التضحية، هي الحصول على خيرات روحيّة جمّة على هذه الأرض وعلى حياة سعيدة في الأبدية. قال أحد القديسين العظام: "آه، كم تبدو لي، بدون قيمة، الأرض مع كنوزها، عندما أَرتفع بنظري نحو السّماء"! أليس بوسعنا قول ذات الكلام؛ أخواتي الحبيبات، إذا قارنّا، قِصَرْ حياة الإنسان على هذه الأرض، وعدم الاستقرار المقلق لأشياء هذا العالم وقِصَر الوقت للتمتّع بما يُزعم لنا أنّه خير، بوعود مخلّصنا بالمكافآت الرائعة والأبدية، التي شاء أن يربطها بهذا التخلّي الكامل؟ الخبرة الّتي اكتسبناها، الثروات الخلاّبة الّتي انهارت وطمرت على مرأى من أعيننا، كبار هذا العالم، الّذين شاهدنا سقوطهم المفاجئ من قمّة مراكز العزّ والمناصب المرموقة، الندم والدموع والحزن، هذه المشاعر الّتي بسرعة تعقب الملذّات والفرح والمسرّات الأرضيّة، كلّ ذلك، ألا يعلن كفاية، بأنّ كلّ ما يوجد في هذا العالم باطل إذا لم يكن لخدمة الله وعمل الخير وخلاص النّفس؟

أمّا بالنسبة إلى التخلّي عن ذاتنا الذي تنصّ عليه قوانيننا المقدّسة، فالله سبق وأمرنا بقسم كبير منه كوننا مسيحيّات (23). فإنّه يُخضِع إدراكنا ويحملنا على أن نؤمن بمجموعة أسرار تتخطى مفاهيمنا الضعيفة؛ إنّه يقيّد إرادتنا، ويكبّل ميولنا المنحرفة بشرائع، يؤدي اختراقها إلى جعلنا مذنبين أمام عينيه ويجلب لنا عقوبات عدلِه التأديبيّة المرعبة. وعلى كلّ حال، أليس ما تتطلّبه منّا قوانيننا في هذا المجال، هو منطقي

وضروري؟ إنّها تريد أن نتخلّى عن إرادتنا الذّاتية: ولكن أليست الإرادة الذاتية هي العائق الأقوى رسوخًا أمام الفضيلة والكمال المسيحي؟ أليست هي أساس الفوضى في العالم؟ سبب الخسارة الأبدية لكلّ الّذين يركضون نحو الهلاك؟

يا للأسف الشديد! أليست الإرادة الذّاتية، لبعض الملائكة المتمردين على الله، هي الّتي قامت بحفر أعماق الجحيم؟ ولماذا توجب قوانيننا المقدسة هذا النكران للذّات؟ حتّى إذا خرجنا من ذاتنا، وارتفعنا فوق ميولنا الأرضيّة، نصبح فقط ملكًا لله وحده، فننفّذ وصاياه بطريقة كاملة؛ وإذا أصبحنا مرتبطات بأنظمتنا الرشيدة لحالتنا، نؤدي بأمانة ما تفرضه علينا؛ وبخضوعنا الطوعي إلى رؤسائنا، ننجو من الأفخاخ والأوهام ومن ميولنا المنحرفة، وإيحاءاتنا الشخصيّة (الّتي غالبًا، ما تكون مضلّلة خاصّة عندما تتعلّق بسلوكنا الشخصي) الّذي يسعى عدوّ خلاصنا أن يرمينا فيها. أضف إلى ذلك، أي تناغم وتنسيق وأيّ تبعيّة تسيّر أيّ مؤسسة وبالأخص في جماعة رهبانيّة، بدون التضحية الكثيرة الحسنات، بالإرادة الذاتيّة؟

ثمار الطّاعة

أنظنّ أيضًا شيئًا قليلاً الثمار الكثيرة، بل أقول العظيمة، الّتي تؤمّنها لنا الطّاعة؟ كلّ عمل نقوم به، مدفوعين بعامل هذه الفضيلة الجميلة سيكون متشحًا بطابع خاص، بطابع ديني، يجعله أكثر قبولاً

عند الربّ إلهنا وأكثر استحقاقًا للسّماء. سيكون هذا العمل انتصارًا على حبّ الذّات الّذي سيضعفه أكثر فأكثر، وانتصارًا على الشيطان الّذي سيخزيه، وسيحصّننا ضدّ هذا العدو اللدود؛ سيكون هذا العمل انتصارًا على العالم، ويقلّل ما يوجد في داخلنا من روحه وحكمه الفاسدة:

"الإنسان المطيع يتكلّم كلام المنتصر". يقول الكتاب المقدّس[1].

المقارنة بين الطّاعة الرّهبانيّة وعبوديّة العالم

أخواتي العزيزات (24)، قارنَّ بين النير الخلاصي لنكران الذّات والطّاعة لقوانيننا المقدّسة وبين العبودية المستبدّة الّتي يُكبّل بها العالم عبدته العميان. في الطّاعة الرهبانيّة، كلّ شيء عظيم، كريم، يتماشى وكرامة نفسنا وسموّ مصيرها: في عبودية العالم، كلّ شيء سافل، مُذلّ، تتصاعد منه روائح الإستبداد النتنة. في الطّاعة الرهبانيّة، لا يوجد إلاّ السلام الثّابت، والنِعَم الدافقة، والبركات المضاعفة: في عبودية العالم، لا نشعر إلاّ بالأحزان والتفاهات، وغالبًا باليأس المخيف. في الطّاعة الرهبانيّة، المكافأة أكيدة ورائعة ولا تعرف حدودًا في الحياة المستقبليّة. في عبودية العالم، لا نصادف إلاّ الدخان، والوعود الباطلة ونكرانًا للجميل مرهقًا. نير التخلّي والطّاعة هو أكيد، والممارسة تجعله حلوًا وخفيفًا وطيّبًا:

أمّا عبوديّة العالم: هي عكس ذلك، قاسية، ثقيلة، صعبة الاحتمال؛ إذ إنّها لا تثمر إلاّ بائسين في هذه الحياة وفي الآخرة. أنظرن

---

[1] سفر الأمثال: 21: 28.

إلى هؤلاء التعساء عبدة العالم، كم تتحكم فيهم الأهواء! كم يلتهمهم الحزن! كم يستهلك قواهم الطمع! كم تقودهم عواقب الأمور السيئة إلى اليأس ورغباتهم الّتي تتوالد دائمًا ولا ترتوي أبدًا! كم تثير سخطهم، وتعبث بهم وتنزع منهم كلّ راحة. أيّها العالم المتقلّب الخدّاع كيف يمكن لنا بعد، أن نحبّك ونقبّل السلاسل الفولاذية الّتي تكبّل بها أتباعك التعساء، وأنت ما أنجبت يومًا إلاّ أناسًا مضلّلين وضحايا؟ ولكن لنعد الآن إلى قوانيننا المقدّسة.

ب- العفّة، متطلّباتها، شروطها

إنّها توصينا بأن نصلب جسدنا مع كلّ أهوائه؛ أيّ أن نحافظ على عفة وطهارة لا تُنتهكان. وصية كثيرة التشعّب في ممارستها: إنّها تمنع كلّ تفكير إرادي، كلّ مودة منفلتة، كلّ شهوة واعية كلّ نظرة متعمّدة، أو الرضا بأي عمل آخر يتناقض مع الحشمة وفضيلة العفة الجميلة. وهي تطلب منّا تواضعًا عميقًا، وصلوات حارة، وسهرًا دائمًا، وإماتة حواسنا وقلبنا، والهروب من الأخطار، وشجاعة ومثابرة وثبات، لا يتزعزع في المعارك، الّتي لا يتوقف ربما عن خوضها ضدّنا عدوّ إلهنا وخلاصنا طيلة حياتنا: إنّها تمنعنا من القيام بكلّ علاقة خطرة غير ضرورية، بكلّ علاقة حميمة مشبوهة، حتّى بكلّ عمل لا فائدة منه مع الجنس الآخر: بشكل آخر، يجب علينا أن نحاول التشبّه بالنقاوة المدهشة للأرواح السماوية، وأن نحيا في هذا المضمار بجسدنا وكأنّنا لا نملك جسدًا. هلاّ نستطيع أن نحيا كملائكة على هذه الأرض!

الثمار والمكافأة الأبديّة للعفّة

ولكن إنتبهن جيّدًا أيتها الأخوات العزيزات، بأنّ قوانيننا ليست هي، بشكل ما، سوى لسان حال القانون الإلهي، الّذي يُلزم بذات

2- المهمّات الصّعبة: تربية الأولاد، الاعتناء بالمرضى

الواجبات(25) ويفرض ذات المحرّمات، على الأشخاص الّذين يريدون أن يتقدّسوا، وسط هذا العالم وهم مطلقو الحال. فالحقيقة أنّ نذر العفة الّذي نبرزه، يضيف التزامًا جديدًا إلى الالتزام الّذي تفرضه وصية الله: بشكل أنّه إذا لم نلتزم، وهذا يكون لتعاستنا، بما تتطلبه منّا هذه الفضيلة المقدسة؛ فإنّ أخطاءنا تتخذ ذنبًا إجراميًّا جديدًا يتعلق بانتهاك المقدّسات؛ لأنّنا ننتهك حينئذ، تكريسنا الخاص لقلبنا وجسدنا لله بنذرنا للعفة.

ولكن كم هذا النذر ذاته يجعل جميلة ومستحبّة، في نظر عروسنا السماوي، الجهود الّتي نبذلها، لنبقى بثبات، أمينات له؟ وهل تعلمن مستوى المجد الذي ستكلّل به في السّماء انتصاراتنا الّتي أحرزناها على عدوّ هذه الفضيلة الجميلة؟ آه؛ إنّ الأبكار، بشكل عام، يسيرون باستمرار، وراء الحمل الطّاهر، ينشدون لمجده، أنشودة، لا يجرؤ أي فم على إنشادها[1]. أيّ تعظيم، أيّ إكليل مجد، لم يحجزا في الأبدية، للنفوس الطّاهرة، الّتي أضافت إلى الثّمن الّذي لا يقدّر، لفضيلة العفة، بحد ذاتها، ثمن تضحيتها بحرّيتها والثّمن الخاص بهذا النذر؟

لقد سبق وقلت، إنّ قوانيننا تُسند إلينا مهامًا، غالبًا متعبة. وما أريد التحدّث عنه هنا، هو: تربية الأولاد وخدمة المرضى الفقراء. من منّا، لا يرى، للنظرة الأولى، ما تحتويه هاتان المهمتان، من نفور

[1] سفر الرؤيا 14: 3-4.

وصعوبات؟ فمن جهة أولى، القذارة، قلّة الجهوزية، الكسل، الطيش، التّمرد، الفظاظة، النقص في الإرادة الطيبة والتّقوى في أكثرية تلامذتكن؛ إلى هذه الأمور، يجب إضافة عدم الجدوى باهتماماتكن لعدد كبير منهم، التّعب والملل والصعوبات المرتبطة غالبًا بمهمّة التّعليم؛ كلّ شيء يثقل عليكنّ، يثير اشمئزازكنّ ونفوركنّ؛ ومن جهة ثانية؛ القساوة، نكران الجميل، فقدان الحسّ، نفاذ الصبر، التّذمر، التأفف، الجهل، الجراح المقرفة، الأمراض بمختلف أنواعها، الموت ذاته؛ هذه هي باختصار، الأشياء البشعة غالبًا، والمزعجة دائمًا، الّتي تضعها باستمرار أمام أعينكنّ مهماتكنّ مع المرضى. أي قوّة للروح! أيّ شجاعة! أيّ مثابرة! أي إيمان! بكلمة واحدة، أيّ فضيلة لستنّ بحاجة إليها، لتنتصرن دومًا على هذا القرف الّتي تعرضكنّ إليه مهماتكنّ الصعبة المرهقة؟

أخواتي العزيزات، أيّ دوافع جبّارة(26) ، تدفع بكنّ للصمود بثبات وجهاد في خدمات أعمال المحبّة التّقوية هذه؟

دوافع أعمال المحبّة هذه

تعليم الفقراء أن يعرفوا، يحبّوا ويخدموا الربّ، هو جزء من العمل الّذي أتى المسيح لعمله على الأرض[1]، هو العمل على تثبيت ملكوت الله، دحر قوّات الجحيم؛ هو المساهمة في خلاص النفوس.

أخواتي العزيزات، كم هي جميلةٌ مهمّتنا، وكم هي سامية وأهلٌ لقداسة دعوتنا! هل باستطاعتنا أن نقدّم لفادينا الإلهي أعمالاً صالحة أكثر قبولاً إلى قلبه؟ كلاّ، بهذا يجيبُنا أحد المجامع المقدّسة[2]. فإنّ المكافأة

[1] روح الربّ... أرسلني لأبشّر المساكين (لوقا 4: 18).

[2] مجمع اكس–لا–شابيل (Aix-la-Chapelle).

العظيمة، للنفوس المستنيرة السخيّة، الّتي تعمل بجهد لتنشئة وبنيان القريب على حبّ الفضيلة، هي شبيهة بالأشعة الوهّاجة الّتي تحيط بالكواكب وسط السّماء وهذا ما يؤكّده الروح القدس[1].

عندما كان القديس اغناطيوس في روما لوضع أساسات جمعيّة رهبانية الآباء اليسوعيّين، سأله أحد الأشخاص العلمانيّين قائلاً: "لماذا تجهد ذاتك وتعرّض نفسك إلى العديد من الصعوبات والاعتراضات؟ فأجابه، المؤسس القديس: "إنّ منعي لوقوع خطيئة مميتة واحدة، أليس بكاف، لإراحتي من كلّ أتعابي؟

وأنتنّ، أيتها الأخوات العزيزات، عندما تقمن بأعمال الرحمة الّتي تفرضها قوانيننا تجاه الفقراء، ألا تمنعن وقوع الخطايا المميتة الّتي تهين العظمة الإلهيّة والّتي تهلك النفوس وتملأ جهنم بضحاياها البائسة إلى الأبد؟

كم من الفقراء، ربما، يباركونكنّ إلى الأبد في السّماء؛ لأنكنّ علّمتنّهم أن يقدّسوا بؤسهم، ويستفيدوا من أمراضهم ويتقدّموا باحترام من الأسرار المقدّسة! كم سيتذكرون، على مدى حياتهم، التّعاليم الحكيمة الّتي أعطيتنّهم في حداثتهم؛ هذه التّعاليم الّتي سيضبطون عليها سلوكهم وسينشرونها وسط عائلاتهم العديدة؟

آه! إذا كانت توجد خطيئة أصلية واحدة تشعر جميع النّاس بمفاعيلها السيئة فهناك أيضًا، خير يرمي ويرضي بمفاعيله وتأثيراته الحلوة إلى البعيد وينتقل من جيل إلى جيل ومن قرن إلى قرن، هذا الخير الثّمين،

---

[1] سفر دانيال 12: 3.

الّذي لا يساويه ثمن، هو التّعليم الديني، التّعليم الخلاصيّ وهو العلم الّذي تعملن بجهد لغرسه في نفوس الأولاد الفقراء والمرضى.

الحضّ على عدم الاستسلام للإحباط

وإذا تبيّن لكنّ (27)، في بعض الأحيان، أنّ جهودكنّ ووقتكنّ واهتماماتكنّ، قد ذهبت سدى، لأنكنّ لا ترين على أرض الواقع نتيجة جهدكنّ، فلا تجزعن ولا تفقدن شجاعتكنّ؛ وبدلاً من أن تقلّلن من أعمالكنّ الصّالحة، واظبن عليها، قدر المستطاع، بزخم أكبر وثبات أكثر. ومن يدري أنّ الله لن يبارك يومًا أعمالكنّ، وإنّ الّذين تستهدفهم هذه الأعمال، لن يستفيدوا منها آجلاً، عندما يصبحون أكثر تعقّلاً، أو عندما تحدق بهم الأخطار الّتي لم تحذرهم منها، ربما عن بعد، أنّهم سيرون أخيرًا، أنّ كلّ سعادتهم، وكلّ غناهم، لا يكمنان إلاّ في ارتدادهم الصادق وتنقية ضمائرهم وتأمين خلاصهم بتوبة سريعة؟ ألم يُرَ، أنّ العديد من الخطأة، الّذين قاوموا طويلاً نعمة الله، دخلوا فجأة إلى ذاتهم وغيروا بطريقة عجيبة، نهج سلوكهم بفضل التوجيهات الملحة والتوسّلات المؤثرة؟ على أي حال، الله لا يسألكنّ النجاح: لأنّه هو وحده الّذي يعطيه[1]، ولكنّه سيكلّل جهودكنّ، وسيكافئها إلى الأبد في الآخرة: ألا يكفيكنّ هذا؟

الحضّ على صفاء النّيّة في التّفاني

أمّا بالنسبة إلى نكران الجميل والتّقصير اللّذين ستلاقينهما من قِبَل بعض الفقراء السماج، فما همكنّ من كلّ هذا؟ أمن الفقراء تنتظرن أجركنّ ومكافأتكنّ؟ أتسعين وراء تقديرهم واحترامهم ومحبّتهم لكنّ؟ آه!

---

[1] 1 كورنتس: 3: 7.

بعيدة عنكن دوافع دنيئة ونظريات سافلة وحافز غير لائق بدعوتكن وبقداسة المهمّات التي تمارسنها؟ هذا يدلّ، على أنّ الصعوبات المتعلّقة بوضعكنّ تضغط بقوّة عليكنّ وترهقكنّ. سيكون رجاؤكنّ باطلاً: كلّ الثمار الّتي كان عليكن جنيها لمصلحتكنّ من أعمالكنّ، ستتلاشى أمامكنّ كالدخان؛ ولن يبقى لكنّ شيء للحياة الأبدية. فمخلّص العالم يقول: "إيّاكم أن تصنعوا برّكم قدام النّاس لكي ينظروا إليكم فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الّذي في السّماوات"[1].

كلا، أيتها الأخوات العزيزات، كلا! أنتنّ لا تقمنَ بالتضحيات الكريمة الّتي تأمركنّ بها قوانيننا من أجل هذا العالم، أريد

أن أقول، من أجل إرضائه، حتّى تحصلنَ على تقديره ومدائحه التافهة ولكن من أجل مجد الله، وإذ أجرؤ وأقول من أجل المشاركة في أعمال عروسكم الإلهي، من أجل (28) نشر عبادته ومن أجل أن تجلبنّ له متعبدين أمناء.

ابحثن في السّماء، عن الكنز الثّمين، وليس على أرض التعاسة هذه، الّتي نعبر عليها، كالظلّ الهارب. أجل نحو السّماء! حيث تحملن قلوبكنَّ وحيث ترتفعنَ بأنظاركنّ وأفكاركنّ، عندما تحيط بكنّ المتاعب والملمات وتتعرّضنَ لتجربة التخلّي عن الخير الّذي عليكنّ فعله! وأيّ

[1] متى 6: 1.

تعزية وشجاعة لا تستقينهما عندما تتأمّلن في المكافآت العظيمة الّتي تنتظركنّ في السّماء؟

وأيضًا من غير أن تُهزمن لا من الاشمئزاز، ولا من التعب ولا من التصرفات السمجة من قبل هؤلاء الّذين تستهدفنهم بغيرتكنّ وعطفكنّ، تعلّمن الأولاد باهتمام؛ وتزرن المرضى برأفة؛ وتوزّعن بكلّ محبة على هؤلاء الأدوية الجسديّة، متشبهات بالسّامري الصّالح، المثنى عليه في الإنجيل المقدّس[1]؛ وعلى مثال طوبيا البار، تدفنّ الأموات. غير أنّ علاقاتكنّ مع الشبيبة المعاقين والمرضى الفقراء لا تتوقف بتقديمكنّ المساعدات الماديّة الخيريّة فقط، بل ليكن الهدف الأساسي، خلاص النفوس. ليكن عندكنّ غالبًا، وبكلّ فطنة، الكلمات البناءة في أقوالكنّ؛ وكما تأمركنّ قوانيننا، فتعلّمن الجهلة، تعزين الحزانى، تشجّعنَ الرازحين تحت ثقل شقائهم وتقدن الجميع بنصائحكنّ الحكيمة ومثلكنّ الصّالح.

ضرورة المثل الصّالح أمام متطلّبات العالم

ولكن ماذا أقول بمثلكنّ الصّالح؟ لا شك، بأنكنّ تعرفن، كم هو أمر مهمّ، ألا نعطي للنّاس غيره! كما يقول القديس يوحنا فم الذّهب "صوت الأعمال، يُسمع بطريقة أفضل، وهو أكثر وقعًا من صوت البوق الصّاخب، ويتابع هذا الملفان كلامه، إذا حاولنا، أن نشع بفضائل ثابتة؛ وإذا أظهرنا أنفسنا لطفاء رحماء متواضعين، أنقياء القلوب، متحملين بصبر الإهانات، مستعدين بفرح لتحمّل الآلام... سنجذب عندئذ إلى نور الحقيقة، أولئك الّذين رأوا أعمالنا الصّالحة،

[1] لوقا 1: 30-37.

بطريقة أفضل بكثير فيما لو كنّا اجترحنا أمام أعينهم المعجزات"[1]: لقدر ما يسيطر العمل الصالح على النفوس والقلوب. ولكن عبثًا نعطي الفقراء النصائح الحكيمة، ونوجّه لهم التّنبيهات، والتّوجيهات المؤثّرة؛ وعبثًا أيضًا نحدّثهم عن الأشياء الأكثر دهشة التي بوسعها أن تجذب قلوبهم إلى الفضيلة، إذا كان سلوكنا يناقض أقوالنا؛ سنكون (29) كالنّحاس الّذي يطنّ كما يقول الرسول[2]؛ دون أن نؤتي تقريبًا بأي ثمر؛ والّذين سيسمعوننا، شاهدين على هذا التّناقض الواضح بين أقوالنا وأفعالنا، سيوجّهون إلينا التّوبيخ المرير، الّذي وجّهه ابن الله المتأنس،

إلى الكتبة والفريسيين: "يقولون ويعلّمون كثيرًا، ولكنّهم لا يفعلون هم أنفسهم ما يلزمون به الغير"[3]. لا يكن عندكنّ شك أبدًا، أيتها الأخوات العزيزات! أنّ العالم متطلب حتى الوسوسة، من الأشخاص الّذين يلتزمون بحياة التّقوى بتكريسهم الخاص لله: فهذا العالم لا يسامح حتّى ضعفهم، ولا يريد أن يرى شيئًا فيهم يمكّنه من التعرّف إلى نفسه. احذرن إذًا، أن تُفسحن مجالاً لخداعه.

آه! يا للمصيبة لنا؟ يا للمصيبة لجماعتنا وحتّى للفقراء، إذا جاء تصرّفنا مغايرًا ومناقضًا، وسط هذا العالم، لما تأمرنا به قوانيننا المقدّسة؟

---

[1] عظة 15 حول الفصل الخامس من إنجيل القديس متى.

[2] 1 كورنتس 13: 1.

[3] متى 23: 3.

إنّه لأمر أكيد، بقدر ما نحن عرضة لأنظار النّاس، بقدر ما تكون زلاتنا محزنة، ومدى تأثيرها يمتد إلى البعيد: وبقدر ما يكون وضعنا مقدّسًا، بقدر ما تكون زلاتنا جسيمة ومميتة للدين.

يس ما نظهر بل ما نحن

غير أنّ هذا سيكون تافهًا أن نظهر بغير عيب، أمام عيون النّاس، إن لم نكن بالفعل، نحن هكذا، داخل بيوتنا، في حضور رفيقاتنا، في عمق نفوسنا، وأمام ذاك الّذي يرى، كلّ شيء. فبرّنا إن كان فقط خارجيًّا ومخادعًا، يجعلنا شبيهات بالكتبة والفريسيّين، ويُضلّنا، بلا ريب، مثلهم: إنّ المخلّص نفسه يعلنه لنا[1].

لنحاول إذًا، أيّتها الأخوات العزيزات، أن نكون حقًّا، كما نحن نودّ أن نكون بأعين النّاس؛ ولكن ليكن سعينا إلى ذلك، لمجد الله، لتكريم ديننا، للخير العام لجماعتنا، لسعادتنا ولخلاص النّفوس.

دعوة إلى المحبّة الأخويّة

لتملك المحبّة، وليعمّ التّناغم دائمًا بيننا. لنعمل جهدنا، فلا نرى أبدًا، مفاضلات، وصداقات خاصّة، ولا نفورًا متعمّدًا: لنحمل بعضنا بعضًا: يا للأسف! لدينا جميعًا، أخطاء ونقائص مذلّة ونستحقّ أن نلام عليها؛ وبأيّ صفة نفضّل أنفسنا على أخواتنا ورفيقاتنا؟ بأي حق نحتقرهنّ ونسمح لأنفسنا التكلّم بالسوء عنهنّ أو لا نحسن معاملتهنّ؟ وعلى الأخوات اللّواتي يَقُمْنَ بيننا، ببعض الأعمال الرفيعة، ألاّ ينتفخنَ تيهًا وألاّ يُظهرنَ أيّ قساوة مع اللّواتي يُطعنهنّ: عندما نتكبّر ونتباهى، ونستقوي بسلطتنا ونطلق العنان لأهوائنا لنسيء إلى من هنّ تحت

[1] متى 5: 20.

أمرتنا، فإنّنا نثبت ضعف تفوّقنا، ونؤكّد على حقارة نفسنا وبأنّنا بالفعل لسنا أهلاً للمنصب الّذي نتبوأ. على كلّ اللواتي هنّ بيننا، وعليهنّ أن يُطِعنَ (إنتبهنَ جيّدًا! نحن كلّنا، بدون استثناء، نطيع)، ألاّ يستسلمنَ للتذمر، والتشكّي، والغيرة، وإلى الوشاية والتّحزب. وألاّ ينسبن إلى سوء النيّة، الملاحظات والآراء والتّحذيرات وحتّى التّوبيخ الّذي يتعرّضن له؛ ولكن ليطعن ببراءة وببساطة الطفل، على مثال اسحق، الّذي سمح بأن يوثق، ويوضع فوق المذبح، بيد أبيه، ليضحى به بأمر الله[1]؛ وعلى مثال السيّد المسيح مع أنّه الله، والسيّد

الأعلى لمريم وليوسف، فإنّه أراد بكلّ سرور، أن يكون خاضعًا لهما، طيلة حياته على هذه الأرض[2]، ليكون لنا قدوة، ويعلّمنا بمثله، أن نخضع نحن أنفسُنا بقداسة، إلى رؤسائنا. لنبن بعضنا بعضًا في كلّ شيء. فنحن كلّنا أولاد عائلة واحدة: وإذا كان الله، كما يعلّمنا الروح القدس في الكتاب المقدّس[3] قد أراد أن يقيم البشر، في ما بينهم، علاقات ودّية من أجل سعادتهم، فكم بالحري نحن المرتبطات بدقّة متناهية، بعضنا ببعض بوضعنا ومراكزنا ومُهماتنا وبعلاقات كثيرة، يجب علينا أن نكون مفيدات بعضنا لبعض، بمثلنا الصالح، بأقوالنا الحكيمة، ودائمًا بسلوكنا الفاضل والبنّاء.

---

[1] سفر التكوين 22: 9.

[2] لوقا 2: 51.

[3] يشوع بن سيراخ 17: 12

الوسائل الّتي تقترحها أنظمتنا للقيام بواجباتنا

الشاذة والمفسدة

وإذا وجدت، داخل الجماعة، أرواح متكبّرة، ترفض الخضوع؛ ومهارات شاذة تريد أن تؤلّف جماعة مستقلّة، تلهي الأخريات عن الحياة الجماعيّة، وتدخل تجديدات؛ وعناصر مُفسدة تسمح لنفسها ببذر الانشقاق والتّذمر، نفوس تسيء شرح كلّ ما يقال (31)، وتدين عن باطل أو عن حق، وتؤلّف في ما بينها تكتّلات؛ نفوس فاسدة، تنشر العار والفوضى داخل الجماعة أو خارجها. فليعلم الجميع، بأنّ قوانيننا وأنظمتنا، ترمي بهذه النّفوس، إلى خارج جمعيّتنا المقدّسة، كأعضاء موبوءة، وتصيب بالعدوى ما تبقّى من الجسم وتؤدّي إلى الخسارة الكاملة.

إليكنّ باختصار، أيتها الأخوات العزيزات، المهام والواجبات الأكثر صعوبة، الّتي تفرضها علينا أنظمتنا المقدّسة، مع ذكر بعض الدوافع، حتّى أقلّها، الّتي تحثّنا على أن نتبنّى بشجاعة ونتّبع بثبات التّطبيق الملائم لهذه المهام والواجبات المفيدة.

أ– الأخوّة في الحياة والمثل

هل أحدثكنّ عن الوسائل المتعدّدة والمتوفرة بيننا، لنؤدّي بجدارة، عملاً بهذه الأهمية؟ لقد علّمتكنّ الخبرة، بدون شك، كم هو مفيد، اجتماع عددٍ كبير من القلوب، الّتي يبدو أنّها قد خططت معًا بالإجماع لعمل الخير؛ كم هي مؤثّرة الأمثلة العديدة للفضائل التي نراها دومًا أمام أعيننا؛ أيّ قوّة، أيّ شجاعة، أيّ نشاط مقدّس، نستقيه من مرافقة شركاء يتعاونون، إذ يعزون بعضهم بعضًا، ويبني أحدهم الآخر.

الكتاب المقدّس يقول: الأخ الّذي يسانده أخوه، هو كالمدينة المحصّنة[1].

انتبهنَ! هل من الممكن، أن توجد أخوّة أكثر قداسة وأكثر تأسيسًا وأكثر كمالاً، من تلك الّتي يجب أن تسود بيننا؟

هذه الأخوّة، ليست وليدة لحم ودم، ولكنّها وليدة الدّين؛ ليست العادة الّتي تثبّتها، ولكن الغيرة لمجد الله ولخير المجتمع ولخلاص النّفوس.

ب– ممارسة الأسرار المقدّسة، التمارين الروحية، القراءة الواعية للقوانين

وفي كلّ حال، أي عون لا نستقيه أيضًا، في ممارسة أعمال التّقوى، الّتي نقوم بها كلّ الأيّام، في لقاءات أيام الجمعة، في ممارسة الأسرار المقدّسة وفي التّوجيهات الملائمة الّتي تعطى لنا؟ وأي أنوار لا تمدّنا بها القراءة الواعية لقوانيننا المقدّسة؟ نحن لا نخشى أن نقول هنا، أيتها الأخوات العزيزات، أنّ قوانيننا تعلّمنا، كلّ ما علينا فعله، لنتقدّس في حالتنا، ولعمل الخير؛ إنّها توجهنا باستمرار نحو الكمال وتقودنا ممسكة بيدنا، في مهامنا وأعمالنا داخل بيوتنا وخارجها:

وإني أجرؤ وأقول: إنّ أنظمتنا، هي شبيهة بعمود الغمام السريّ الّذي كان يتقدّم شعب بني إسرائيل في الصحراء[2]. إنّها تبدّد الظلمات الّتي تحيط بنا في ليلنا (32)، أي شكوكنا وارتباكاتنا في الظّروف الصعبة؛ وفي النّهار، أي في الأمور السهلة والعادية، تكون دليلنا: فهي تنيرنا في

---

1 أمثال 18: 19.

2 خروج 13: 21.

كلّ مكان، وتدلّنا على الطّريق الّتي يجب أن نسلكها. وهل يبقى أمامنا شيء للعمل به، سوى السير بخطى ثابتة على ضوء هذا النّور الوهّاج؟

الحضّ على اتباع القوانين بأمانة

آه، ليس باستطاعتي إلاّ أن أحثكنّ عليها، بكلمات من نار ليس باستطاعتي إلاّ أن أكتب قوانيننا المقدّسة في قلوبكنّ، بحروف من معدن البرونز يصعب محوها! ليتني أستطيع أن أحملكنّ وأدفعكنّ إلى حبّها بشكل قوي، حتّى لا تحدن عنها أبدًا، ولا تتحرّرن من أيّ

وصيّة من وصاياها الخلاصية، ولا من التّوجيهات الحكيمة الّتي تتضمّنها، ولا تحدن أيضًا، عن الطّريق الأمينة، الّتي ترسمها لنا لتقودنا إلى الخير! لا يخامرنا شكٌّ أبدًا أيّتها الأخوات العزيزات، أنّ أمانتنا في اتباع قوانيننا تجعلنا شبيهات بعذارى الإنجيل الحكيمات، اللّواتي وُجدن متزيّنات ومتزودات بالزّيت والضياء، مستعدّات لاستقبال العروس الإلهي واتباعه إلى وليمة العرس[1]. أي فضائل، وأي أعمال صالحة عديدة علينا تقديمها إلى العروس الإلهي، عندما يدعونا، لنملك معه لدهر الدهور؟

العوائق لهذه الأمانة

ولكن لنتوقف عند هذا، أيتها الأخوات العزيزات، للوصول إلى هذه النهاية المبتغاة وإلى هذه السّعادة الكبرى، بأمانتنا لقوانيننا المقدسة ولكلّ واجباتنا، يجب علينا، أن نصارع ضد الأنواء العاتية في بحر هائج، أن نحارب بشجاعة أعداء عديدين ومخيفين، وأن نظهر أمام عروسنا الإلهي محمّلين بمغانم، لم يمسها ولم يستولِ عليها مطلقًا، التهرّب والتقلّب والكسل. لنتكلّم بوضوح أكثر: علينا أن نحارب ضدّ العالم، الّذي بأقواله

---

[1] متى 25: 4-10.

الجذّابة، وحكمه المضلّة، ومثله المعدية، وحتّى ربّما باضطهاداته المكشوفة، لن يتوقّف عن نصب فخاخ لبسالتنا. وعلينا أن نصارع ضد الشيطان الّذي يغار، عندما يرانا قد نجونا من عنفه والّذي يغضب من جهودنا التي نبذلها لننتزع منه ضحايا أخرى.

سيضطرب باستمرار وينصب لنا الكمائن في كلّ مكان، ولن يستكنّ إلاّ عندما نصبح في دنيا المجد أو عندما يتمكن من تيئيسنا ومنعنا من فعل الخير.

ولكن أيّ عوائق لا نجد أيضاً داخل قلوبنا؟ حبّنا لذاتنا، سيجد نفسه مصابًا بالجراح في ألف مناسبة؛ وإرادتنا سترى نفسها غالبًا معاكسة؛ آراؤنا وأنوارنا الخاصة سترفض، تعلقنا بالعالم، بأقاربنا، بخيرات الأرض، بالأمجاد، بالملذات، بتقدير النّاس لنا، كلّ هذا سيحارب بدون انقطاع؛ ماذا أعرف؟ كلّ هذه "الأنا" الغالية والمرهفة الحسّ، كلّ ميولنا وعاداتنا، تبقى كأنّها منقادة ومحصورة في عبودية مرهقة، تدوم على الأقل، مدى الحياة. كم من المعارك علينا أن نخوضها ضد هؤلاء الأعداء المقربين والبعيدين؟ ولكن، أيتها الأخوات العزيزات، هل سيكون لدينا ثبات وشجاعة للعمل على خلاصنا مع خلاص نفوس أخرى، أقلّ من تلك الّتي يبذلها أناس هذا العالم للحصول على الخيرات الفانية لهذه الأرض، للإرتفاع إلى مراكز شرف تافهة، والوصول إلى مجد ليس هو سوى دخان مخادع وزائل؟ زد على ذلك، فإنّ وقت الأخطار والآلام والمعارك، هو قصير جدًّا، بينما المكافأة المرتبطة بأمانتنا ستكون ثابتة وغاية في الروعة والكمال! يا له من دافع قوي لتشجيعنا!

قوّتنا ليست في ذاتنا، بل في نعمة الله وفي التّواضع

وعلى كلّ، لنحترز جيدًا، أن نكون أقلّ اتكالاً على قوانا الذّاتية، وألا نسند ثقتنا على أنفسنا، أو على الجهود الّتي قد صمّمنا على بذلها: يا للأسف! هل نحن، مهما كنّا ومن كنّا، سوى خطيئة وبؤس؟ وهل نستطيع بثرواتنا إلاّ أن نبقى بدون جدوى وفعلة شرّ؟ ولكن كما سبق لنا، وكتبنا إلى اللّواتي أبرزن نذورهنّ من بينكنّ، فإنّنا على مثال الرسول بولس، نستطيع "كلّ شيء بالّذي يقوينا"[1]. "ونعمة الربّ "تكفينا"[2] لنهدم كلّ القوى المسلّحة الّتي تعمل ضدنا. وهذه النعمة، لن يرفضها الله لنا، إذا طلبناها منه بثقة، وإذا كنّا لا نسعى إلاّ لإرضائه في كلّ شيء، إذا حاولنا أن نكون أمينات لقوانيننا الحكيمة.

أيّتها الأخوات العزيزات، في وسط المعارك والتجارب تتكامل[3] الفضيلة وترتدي أبهى حللها. إنه أيضًا بفضل ضعفنا، وضعفنا المتواضع، والذي يعلم عدَمَه وعجزه، والّذي ينتظر من الله كلّ قوّته وكلّ مساندته، يلذ للرب أن ينمّي فينا المفاعيل المدهشة لحنانه الأبوي وأن يظهر قوّة عظمته[3].

آه! أيتها الأخوات العزيزات،(34) لو كنا فعلاً متواضعات، كم كانت تبدو لنا سهلة في التّطبيق، الواجبات الأكثر صعوبة، الّتي تفرضها علينا قوانيننا! وأجرؤ على القول: "كم كان سيُسر الله، بأن يستخدمنا لفعل الخير! بأي رأفة، كان سيحمينا في كلّ معاركنا وفي كلّ ما سنقوم به

---

[1] فيلبي 4: 13.

[2] 2 قورنتس 12: 9.

[3] 1 قورنتس 1: 27-29.

لأجل مجده! آه! علينا ألاّ ننسى أبدًا، عندما نحقّق أكبر النجاحات، ويبدو لنا أنّنا قد فعلنا أجمل الأشياء، أن لا نتوقّف أن

نكون لا شيء بذاتنا ومن ذاتنا بل يجب أن ننظر دومًا لأنفسنا كخادمات عديمات الفائدة. هذه هي الوصية، الّتي أعطاها سابقًا يسوع المسيح، إلى رسله، الّذين كانوا، بدون شك، أفضل منّا بكثير، وعملوا خيرًا أكثر بكثير ما بوسعنا أن نعمله، مهما كان اندفاعنا ومهما كانت جهودنا.

التّشجيع النّهائي

وأخيرًا أيتها الأخوات الحبيبات، اقبلنَ هذا الكتاب، ليس كنتاج دنيوي أو إنساني بحت؛ ولكن كهدية من السّماء، أرسلها الله، برحمته. اقرأنه، وتأمّلن به، وافعلن بكلّ ما يأمركنّ فيه. آه! "لا تلتفتنَ لا يمنة ولا يسرة"! لا يبدُ لكنّ فيه أي شيء سخيف وبدون أهمية؛ لأنّ كلّ ما فيه، مخطط ويرتبط في النظام الّذي يجب أن يسود بيننا؛ ومن جهة أخرى إنّ كأس الماء البارد، المقدّمة للفقير باسم يسوع المسيح، لن تبقى بدون مكافأة. تذكرن مجددًا إذا كنّا أمينات في الأشياء الصّغيرة، سنكون بسهولة أمينات في الكبيرة[1]؛ وإنّ الله، يحصي جميع أعمالنا، في كتاب الحياة، حتّى أصغر خطوة نقوم بها بفعل الطّاعة. إذًا المطيع الحقيقي "كما يقول القديس فرنسوا دي سال، يحبّ قوانينها، ويُجلّها ويعتبرها فقط، الطّريق الّتي يجب أن نسلكها لنتحد بروحنا مع الله؛ وإذا ما

[1] لوقا 16: 10.

انطلقنا، علينا ألا نحيد أبدًا عن هذه الطّريق، ولا عن التقيد بالأمور المذكورة فيها، سواء كان للتّوجيه أو لوجوب الالتزام بها"[1].

لنتعاون معًا إذًا، بذات الاندفاع والغيرة، لنعبّر لقوانيننا وأنظمتنا عمّا نكنّه لها، من واجب الإحترام والتّعلق والأمانة، ولننقل هذه المشاعر عينها إلى بنات القديس منصور دي بول، اللّواتي سوف يأتين من بعدنا. وهكذا لا نغتني فقط بأعمالنا الشخصيّة الحسنة، ولكنّنا أيضًا في تلك الّتي ستتم بعد موتنا، نتيجة لمثلنا البناءة وسلوكنا الحسن.

لتكن نعمة سيّدنا يسوع المسيح معكنّ أجمعين. آمين[2].

---

[1] محاضرة XI.

[2] رؤيا 22: 21.